**الإيديولوجي والضبط الاجتماعي:**

**يقصد بالإيديولوجيIdeology الفلسفة الاجتماعية للجماعة، تلك الفلسفة التي تحدّد مكان الإنسان داخل المجتمع، وأسلوب تنظيم المجتمع وعلاقة المجتمع بالفرد.ويرتبط الإيديولوجي بالقيم أو الجوانب المرغوب فيها داخل المجتمع والتي تمنح المعايير القائمة دعماً أقوى من خلال التفسير والتبرير الإيديولوجي والعقائدي معاً. وعادة ما يحاول الإيديولوجي السائد في المجتمع أن يبرّر النظام الاجتماعي القائم، ويسهم في دفع الناس إلى الامتثال لمعاييره وتحقيق قيمه.**

**والإيديولوجي كمجموعة من القيم والمعايير السياسية والحقوقية يسعى إلى تفسير ظواهر اجتماعية معقدّة من خلال منظور يوجه ويبسّط الاختيارات السياسية والاجتماعية للأفراد والجماعات.(24)وهذا ما يمكن وصفه بالمعنى الحيادي للمصطلح، إذ إن هذا التعريف ليست لديه القدرة على توضيح الدلالات المختلفة التي اكتسبها من الأنساق الفكرية العديدة التي عملت على إظهار مدى التوازن بين الجانبين الواقعي والأخلاقي اللذين يمثلان مقومات أيديولوجية.**

**ويعرّف الإيديولوجي بأنه: نظام من الأفكار المتداخلة- كالمعتقدات والتقاليد والمبادئ والأساطير- التي يؤمن بها مجتمع ما أو جماعة معينة وتعكس مصالحها واهتماماتها الاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية، وكل ما يحيط بالوجود والكون والحياة بوصفها مصدراً للقلق والخوف، واضعاً التبريرات المنطقية لهذا الوجود من خلال إجابته عن التساؤلات المختلفة، راسماً في نفس الوقت صورة أخّاذة للمستقبل تتحقق فيها العدالة والمساواة والرفاهية، وداعياً أبناء المجتمع لتغيير حياتهم بوصفه مصدر الزخم العاطفي لدى الجماهير عن طريق الإثارة العاطفية التي يحدثها والتي تسبق الحركة التغيرية التي يدعو إليها.**

**ويقسم الإيديولوجي إلى نوعين أساسيين هما:**

**1-الإيديولوجي المحافظConservatism : وهو الإيديولوجي الذي يدعو للحفاظ على الوضع القائم ويقدم جميع التبريرات التي يوضّح منها للناس أن الوضعية الراهنة بما تتضمّنه من أهداف ومعايير وقيم خلقية وروحية هي الوضعية المناسبة لهم والتي يجب المحافظة عليها والالتزام بها وعدم السماح بتحدّيها واختراقها.**

**2- الإيديولوجي المعارض Liberalism: وهذا النوع من الإيديولوجي هو عكس النوع الأول حيث يسعى لتقديم كل البراهين والحجج والمبررات التي تُظهر عدم صحة الوضع الراهن وتدعو إلى التقليل من شأنه ومهاجمته بهدف الإجهاز عليه وتدميره وإحلال الوضع الجديد الذي يدعو إليه.**

**وفي هذا السياق يشير علي الوردي إلى أن حركة المجتمع تتوقف إلى درجة كبيرة على التنازع بين جماعة المحافظين وجماعة المعارضين، فالأولى: تدعو إلى إبقاء كل قديم على قدمه وتؤمن أنه ليس بالإمكان أبدع مما كان. والثانية: تدعو إلى التغيير والتجديد، فكلاهما يشكّلان قدمَي المجتمع اللتين يمشي عليهما، فالأولى تثبّته، والثانية تدفعه. والسير لا يتم إلاّ إذا تفاعلت فيه قوى السكون والحركة معاً.(**

**الإيديولوجي باعتباره وسيلة ضبط اجتماعي:**

**هنا نحدّد جملة من الخصائص التي تجعل من الإيديولوجي وسيلة ضبط مؤثرة ومقبولة لدى الناس وعلى النحو الآتي:**

**1- النزعة نحو الشمول: إن السمة المميّزة للإيديولوجي هي الشمولية، فهو يتضمن تفسيراً شاملاً لطابع ومجرى التطور التاريخي للمجتمع وقواه المحركة، بمعنى آخر لابد أن يكون الإيديولوجي كاملاً وله فلسفة شاملة تعالج أوجه الحياة المختلفة أو المشكلات القائمة مدار التفكير والقلق.**

**2- عدم التناقض: يجب أن لا يكون الإيديولوجي متناقضاً في فلسفته أو حلوله للمشكلات القائمة وتفسيره الشمولي للكون والمجتمع والكائن الفردي على حد سواء، لأن التناقض إذا ما حدث فمن شأنه أن يؤدي إلى عدم الوضوح، ومن ثم عدم اطمئنان الناس إليه.**

**3- القدرة على النقد: يتميز الإيديولوجي الناجح بقدرته على توجيه النقد إلى النظام القائم وبيان مناطق الخلل والضعف فيه، وقدرته على نقد الإيديولوجي المعارض ومهاجمته بوصفه يشكل خطراً على مستقبل الناس ويجب العمل على تقويضه وسحقه، ولابد له أيضاً أن يتميّز بالقدرة على الثبات والوقوف أمام الانتقادات التي توجه إليه من قبل النظام القائم أو المعارض.**

**4- الإيديولوجي الناجح يستطيع أن ينشئ ثلاث صور تعزّز نجاحه وقدرته على التأثير، الصورة الأولى عن ذاته يمجدّها هو، بمعنى يرسم صورة ساحرة عنه وعن المستقبل الذي ينتظره للاستحواذ على خيال غالبية الناس ودفعهم للالتفاف حوله ومساندته. في حين تكون الصور الثانية عنه لغيره من الجماعات والطبقات تتناوله بالتعظيم، ويوجه الصورة الثالثة نحو الإيديولوجي المعارض أو القائم تحط من شأنه وتَبخسه قدرته في نظر أفراده وتجعل منهم أناسا غُلبوا على أمرهم.**

**5- الإيديولوجي الناجح يجب أن ينزل إلى مستوى الجماهير ويفهم آمالها ومصالحها ويكلمها بلغتها ويعبر عن أهدافها، فلا ينطبق معيار الحقيقة وبصورة كاملة على الإيديولوجي إلاّ من خلال مدى تعبيره عن الواقع الاجتماعي وعدم ارتباطه بمصالح ورغبات طبقة أو فئة معينة، ودون ذلك يُطرح الإيديولوجي بصورة مشوهة وخاطئة.(28)**

**6- يجب أن يتميّز الإيديولوجي بالبساطة وسهولة الفهم من قبل الناس، واستخدامه الشعارات والرموز باعتبارها وسائل تعبيرية دقيقة ومفهومة لدى غالبية الناس.**

**7- يجب أن يتميّز الإيديولوجي بالقدرة على تجديد نفسه في فترات معينة، والحفاظ على استمرار يته وعدم تصدعه كوسيلة ضبط لفترة معينة لاسيما بعد أن يتحقق النظام الذي يدعو إليه.**

**إن عدم قدرة الإيديولوجي على تجديد نفسه سيعرضه إلى الهجوم من قبل الإيديولوجي المعارض ومن الأتباع، ما يعرّضه إلى الجمود أو الموت لأنه لا يتجاوب مع حاجات المجتمع وأهدافه، وهنا يعطي فرصة لظهور الإيديولوجي الجديد الأكثر قدرة على إقناع الناس على أنه الإيديولوجي الصحيح القادر على تحقيق الحياة الأفضل لهم فيسيروا خلفه.**

**يؤدي الإيديولوجي وظيفة الضبط الاجتماعي من خلال أدائه المهام التالية:-**

**1- تعيينه للنظام الذي يدعو إليه في إطار فلسفة واضحة ومحدّدة تجعل الناس يلتزمون بذلك النظام وبقوانينه وما يفرضه من ضوابط اجتماعية وخلقية.**

**2- يعمل الإيديولوجي على شدّ المجتمع إلى بعضه وإلى القيم الاجتماعية عن طريق تجديده لنفسه أثناء المناسبات والأعياد، فاحتفال الناس مرّة كل عام بنجاح الإيديولوجي ما هو إلاّ تذكير بالقيم التي دعا إليها وتعبيرٌ عن التماسك والتضامن حول أفكار ذلك الإيديولوجي وقيمه. ويحافظ الإيديولوجي كذلك على التماسك الاجتماعي من خلال الرموز التي يرفعها مثل الأعلام أو الرايات التي يجتمع الناس حولها وتذكّرهم بوحدتهم وقيمهم وخصوصيتهم.**

**3- الإيديولوجي ينظم الجماعات المختلفة داخل المجتمع ويربط بينها ويُعيّن واجبات أعضائها وحقوقهم.**

**4- وجود الإيديولوجي القائم والإيديولوجي المعارض يساعد في ضبط حركة المجتمع وتطوره بخطى متوازنة بوصفهما قدَمَا المجتمع اللتان تدفعانه إلى أمام وتثبتانه بنفس الوقت، أي يحققان الاستمرار والاستقرار".**